

أعضاء البيان

... { = y q' i o m - @ 105 @

ففي الآية الأولى تمنوا نزول سورة يؤذن فيها بالقتال ، فلما نزلت صار مرضى القلوب كالمغشى عليه من الموت . . .

وفي الثانية : قيل لهم كفوا أيديكم عن القتال ، فتمنوا الإذن لهم فيه ، فلما كتب عليهم رجعوا وتمنوا لو أخرجوا إلى أجل قريب . .

وفي الثالثة : أعطوا العهود على الثبات وعدم التولي ، وكان عهد □ مسؤولاً ، فلما كان في أحد وقع ما وقع وكذلك في حنين ، ويشهد لهذا أيضاً قوله تعالى : { وَإِذْ قَالَتِ طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ لَيْلَىٰ يَتَّبِعُ لَكُمْ لَاحِقَةٌ لَّكُمْ فَارْجِعُواْ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّاسِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا * وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ مَّنْ أَوْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ فِيهَا إِلَّا بَرْقًا يَسِيرًا وَلَقَدْ كَانُوا عَآهِدُوا اللَّهَ مَن قَبِلْ لَآ يُولُواْ الْآخِرَةَ } . . .

ففي هذا السياق بيان لعتابهم على نقض العهد ، وهو معنى : لم تقولون ما لا تفعلون سواء بسواء ، ويقابل هذا أن الله تعالى امتدح طائفة أخرى منهم حين أوفوا بالعهد وصدقوا ما عاهدوا الله عليه في قوله تعالى : { مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا } . . .

ثم بين الفرق بين الفريقين بقوله بعدها { لَّيْجَزِيَنَّ اللَّهُ الصَّادِقِينَ
بِمُصَدِّقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُؤْمِنَاتِ فَرَقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ
الشَّاءَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ
لَمْ يَنْتَالُوا خَيْرًا } ، وذلك في غزوة الأحزاب .

فتبين بهذا أن الفعل المغاير للقول هنا هو عدم الوفاء بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم من قبل فاستوجبوا العتاب عليه ، كما تبين أن الذين وفوا بالعهد استوجبوا الثناء على الوفاء ، وقد استدل بالآية من عموم لفظها على الإنكار على كل من خالف قوله فعله ، سواء في عهد أو وعد أو أمر أو نهى . . .

ففي الأمر والنهي كقوله تعالى : { أَتَأْتُمُ مُرُوءَ النَّاسِ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ

أَنفُسَكُمْ ° { . .

وَقَوْلُهُ عَنْ نَبِيِّهِ شُعَيْبٍ لِّقَوْمِهِ : { وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلَأَ كَفَّكُمْ ° إِلَّاهَ مَا
أَزْهَأَكُم ° عِنْدَهُ ° { .